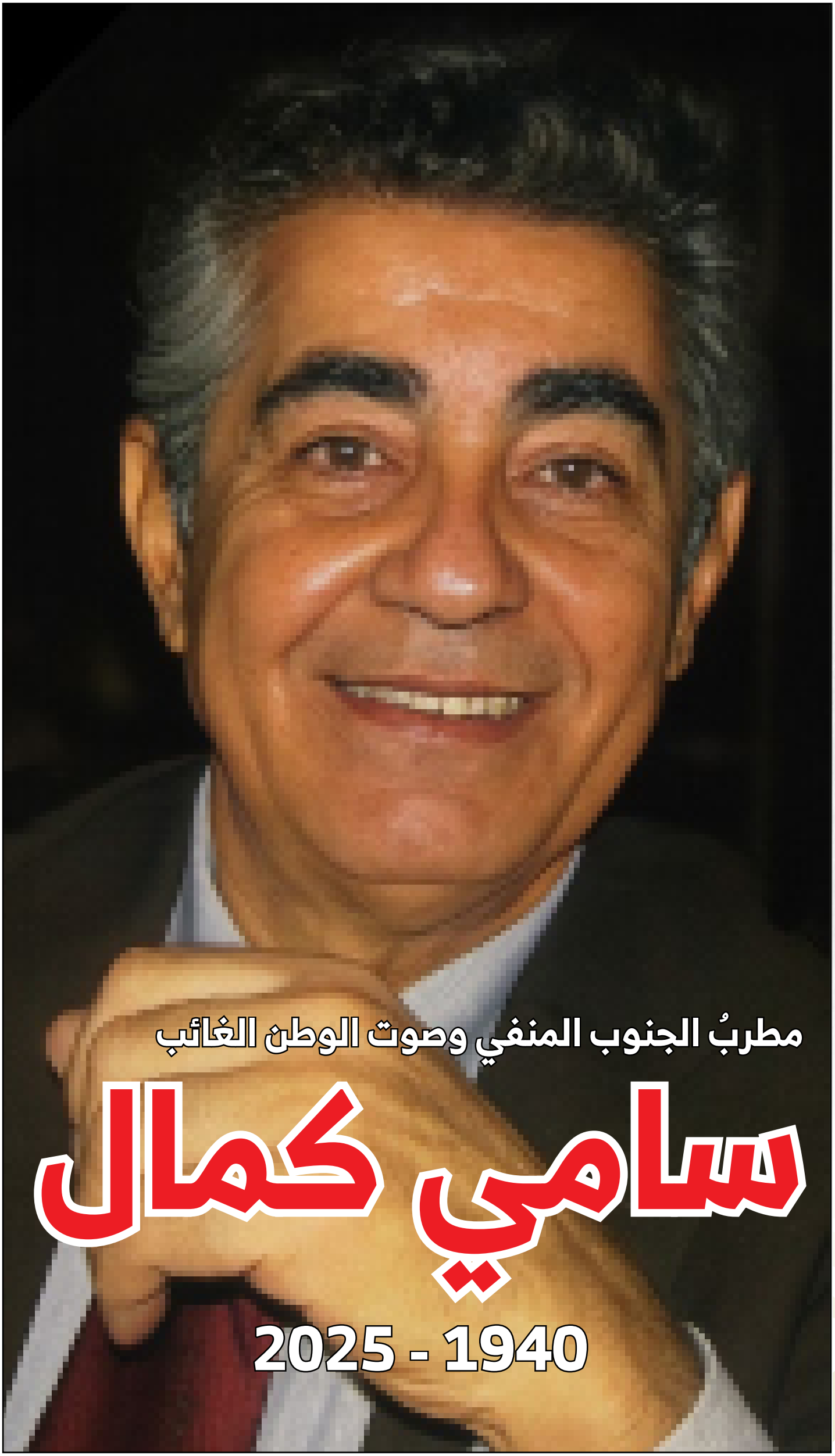

# مطربُ الجنوب المنفي وصوت الوطن الغائب

# سامي كمال

## 2025 - 1940


# الديار

من زمن التنوهيج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رئيس مجلس الادارة
رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (6008) السنة الثالثة والعشرون
الخميس (16) تشرين الأول 2025

# سامي كمال.. الإنسان والقضية

محمد السعدي

كلما تعرفت عن قرب على الفنان سامي كمال وجدته يتعامل بكبر مع محبيه وقريبيه . مشوار طويل من الصداقة قبل تكون في خانة النسابة والمصاهرة حافلة بالمواقف والاحداث والمنعطفات . صورة الرجل المشعة دائماً بالأمل ذكرتني بهذا الحوار بين أدباء روسيا الكبار حول الكبار .

ولد الفنان سامي كمال العام ١٩٤٠ في قضاء الكحلاء ( المسيعيدة ) التابع لمحافظة ميسان وسط عائلة ميسورة الحال وذات نفوذ أجتماعي وسط أهالي قضاء الكحلاء ، والده مناتي أمتهن مهنة خياطة ( العباءة العربية ) ، كباب رزق وعيش لعائلته ، والدته ربة بيت لعائلة تتكون من ستة أبناء هو الأكبر بتسلسل الاولاد ، فتحمل منذ طفولته الأولى عبأ العائلة في البحث عن مصادر للعمل لتعيين والده لمساعدته في العيش . وفي وعي مبكر بسبب ظروف الحياة الاقتصادية وطبيعة العلاقات في مدينة الكحلاء وظروف العيش والحياة وأحتياجاتها اليومية والعوز في مصادرها وأنعكاس ثورة أكتوبر وأنتصارات الجيش الاحمر على جبهات الحرب العالمية الثانية وبث الافكار الشيوعية في جنوب العراق ، جملة وكان العوامل دفعت كل العائلة الى الوقوف مع قضايا الفقراء والدفاع عن حقوقهم المسلوبة من رجالات الاقطاع والاغوات والملاكين الى الانحياز والايمان بالافكار الماركسية والشيوعية .

في مطلع الخمسينيات من القرن المنصرم أنتقل الفنان سامي كمال مع عائلته من مدينة الكحلاء الى العاصمة بغداد مما شكلت تلك الانتقالة أنعطافة في حياة الفنان على المستوين الفني ( الغنائي ) والسياسي ، وعندما كانت العاصمة بغداد تموج في منتدياتها وشوارعها مخاضات سياسية وثقافية قادمة في التغير ، قد تركت إثرها الواضح على حياته ، بل أنخرط في تلك الاحداث مبكراً من خلال الاهتمام والانتماء . وعندما وجد المرحوم مناتي والد الفنان سامي كمال الموهبة لدى أبنه في الغناء والفن . دعم تلك الموهبة في داخله وحثه بإتجاه صقلها في الدخول الى مسرح الموسيقى العسكري كمنشد مما شكلت إنطلاقة الأولى في عالم الغناء والتلحين .

في بغداد العاصمة . تفتحت إمام الفنان سامي كمال أفاق جديدة لتطوير مواهبه الفنية والتي أعتمدها في ذاكرته من شجن وحزن الجنوب العراقي ، فلقد تعرف على ملحنين عراقيين من أمثال الراحل كمال السيد ، محمد عبد المحسن ، عباس جميل . وشعراء أغنية عديدون لازمهم في مسيرته الفنية ، ومن أكثرهم قرباً له الشاعر المرحوم كاظم أسماعيل كاطع . وقد سبق هذه الأضاءات بولوجه وقبوله كمنشد في فرقة المنشدين الصباحية . في العام ١٩٧٠ بدأ العراق يخطو بأتجاه تهدئة الاوضاع وما رافقها من تنمية وأصلاحات أنعكست على الحياة الفنية والثقافية في العراق وبناء الأغنية المعبرة والهادفة ومضمونها وتطورها ، مما الى الآن يشار لها بالبنان في المعنى واللحن والشعر ، وكان الفنان سامي كمال واحد من عشرات الفنانين ، الذين تصدروا ألق هذا المشهد في تعزيز أسس الاغنية والفن بشكل عام .

في أستذكار تاريخي لأهم محطات الفنان سامي كمال في بداياته . حيث يقول .. في بداية تسجيل أولى أغنياتي ( بويه عينه شكبرها ) . كان الفنان يحي حمدي مخرجاً لهذه الأغنية ولما أكملت تسجيل هذه الأغنية خرجت الى الكونترول لاستمع أليها في مبنى الاذاعة ، وكانوا في حينها الملحن محمد جواد أموري والملحن الشيوعي كوكب حمزة والمغني سعدون جابر يستمعون لي عند إداء التسجيل . فقال الفنان يحي حمدي شهادة مازلت أعتز بها الى يومنا هذا أمامهم (( أن هذا هو الصوت المطلوب ، ولكنه بأعتقادي سوف لن يكون طريقه سهلاً )) .

في منفاه البارد الموحش في القطب الشمالي ، الذي طال سنوات طويلة تداهمه به الذكريات والحنين الى الماضي في جو وحميمية عائلته الهادىء ، وعندما تكهرب الجو السياسي العراقي العام في أستهداف القوى الوطنية ومثقفيها وفنانيها من قبل أجهزة النظام في أعتقالهم وتغييبهم . قرر الفنان سامي كمال بحزم حقائبه في الرحيل الى وراء الحدود الى أصقاع الأرض القاحلة ، وفي لحظة وداع مؤلمة وصعبة لعائلته ، أثنته والدته الطاعنه في السن من الرحيل متوسله له والخوف عليه من معاناة البعد ووحشة المهجر ، مازالت تلك اللحظات الصعبة تداهم الفنان سامي كمال بوجع وربما بندم على فراق والدته كلما تلبسته سنوات اليأس والأحباط ، ومما زادت من قساوة وهول الغربة رحيل والدته الى السماء بعيداً عن توديعها وإلقاء النظرة الأخيرة عليها . والإنسان يشعر بالعمر وتقادمه عندما تغيب أمه عن الدنيا.

عندما ولج الفنان سامي كمال عالم الفن كمغن وملحن العام ١٩٧٠ ، وهو أب لاربعة أطفال يعمل من أجل تأمين حياة متواضعة لهم . راح يبحث عن مصدر رزق لتأمين معيشتهم ، لأنه في يومها لم يكن للفن معين مالي للعيش ولاسيما كفنان شيوعي يعطي من وقته وفنه للناس وقضاياهم ، فأخذ مهنة الحلاقة كباب رزق في تأمين حياة هادئة بفتح محل للحلاقة في مدينة الحرية في بغداد . وكان الملحن طارق شبلي يأتي من البصرة الى بغداد كلما توجب حضوره في لحن أغنية جديدة لمطرب جديد في مبنى دار الأذاعة بالصالحية ، وكان حينها يرافقه شاب صغير متلمساً طريق الغناء هو الفنان رياض أحمد ، والذي أصبح مغنياً مميزاً في مسيرة الأغنية العراقية . يستذكر سامي كمال ذكريات تلك الايام ، والذي حدث مرة في مبنى الأذاعة بتصرف غريب من الشاب رياض أحمد مما دعا سامي كمال في نهره وقائلاً له أمام جمع من الحضور " أنت محسوب علينا " فرد عليه رياض لا أنا بعثي . فاستدرك الفنان سامي كمال الموقف والخروج منه لا أقصد أنت محسوب علينا كفنانين .

في بغداد العراق ، وبعد أن ضاقت به فرص الحياة والعمل وحرية التفكير ومساحات الابداع لمعتقده السياسي ( الشيوعي ) والتمسك به ولم يرضى لنفسه على أي مساومة تجاه معتقده من أجل البقاء في مبنى الأذاعة في الصالحية والتي من فتحات نوافذها يحقق الشهرة والمال ، لقد تم أبعاده عن هذا الأفق وهو في بدايات ظهوره وشهرته الى الفرقة القومية للفنون الشعبية ، وقد تعرف هناك على بعض الفنانين العراقيين أمثال جبار عكار وأمل خضير . وفي الفرقة القومية ألتقى بالفنان عبد الأمير معله وهو اللقاء الثاني به ، وتفهم ظروفه ودعمه بأتجاه مشروعه الفني . كثير ما يشدنا في أغاني هذا الفنان الرائع هو المذاق العراقي السلس مع لحنه الممتع ، والكثير منا يتذكر الفنان سامي كمال في بداياته الفنية وفي أشهر أغانيه ( رايح يارايح وين ) والحاصلة على جائزة أفضل أغنية عام ١٩٧٧-١٩٧٦ ، والتي لابد من الاشارة هنا الى ملحنها المرحوم الفنان الراحل كمال السيد (ولنا وقفه مع هذا المشكل رأسه بمدينة الكحلاء ، وفي عز فتوته بدأت تظهر ميوله نحو متابعة الفن وعلاقة الغناء العربي وتحديداً الغناء ، ولموهبته المبكرة بهذا المجال بالتزامن مع ميوله السياسية بتأثير من والده مناتي بحكم طبيعة عمله وأحتكاكه اليومي بالناس وهمومهم ، فكان نصيب العائلة بذلك التوجه والانحياز الى قضايا الانسان في العيش والاختيار الحر . في سنواته الاولى للفنان سامي كمال في مجال الغناء والفن وتأثيرات أنتمائه السياسي على مسيرته الفنية في حقبة العراق التاريخية في التكوين السياسي وظهور الاحزاب السياسية الى العلن في العمل السياسي والاحتراب الى حد الخصومة والمواجهة بين القوميين والبعثيين من جهة والشيوعيين وأصدقائهم من جهة أخرى ، تركت ظلالها على حياة الفنان سامي كمال في بداياته الفنية بحكم هذا الصراع السياسي وتحديد المواقف . مما تعرض الى الاعتقال والسجن في أحداث ٨ شباط العام ١٩٦٣ ، بمجيء البعثيين والقوميين الى دفة الحكم بإنقلاب عسكري أطاح بثورة تموز وإنجازاتها ورجالها ليدخل العراق في دوامة طويلة من الانتهاكات والدم .

أرتبط همه السياسي والتعبير عنه في الوقوف مع قضايا الناس وتطلعاتهم من خلال موهبته الفنية

وأصالته العراقية وموسيقاه التي تفيض منها الحانه وصوته الشجي ، وهذا ما نتلمسه في أغانيه على مدى أربعة عقود من العطاء . والفنان سامي كمال متمرس في الغناء منذ أواخر ستينيات القرن الماضي ، حيث دخل الاذاعة كمنشد في فرقة المنشدين الصباحية مع ثلة من الفنانين العراقيين ، والذين حجزوا لهم مكاناً في الذاكرة العراقية أمثال عبد الجبار الدراجي ، صباح غازي ، حسين السعدي ، عباس حسن ، هناء وأختها غادة سالم . وبسبب ظروف العراق السياسية وتقلباتها مما أجبره كسائر الغالبية العراق متوجها الى المجهول ....؟.

قبل أن تطأ قدماه أرض اليمن ، كان مروره الأول دولة الكويت ، والتي لم يمكث بها طويلاً لاسباب شخصية ومن منطلقات ( فنية وسياسية ) ، ورغم الأغراءات التي قدمت له من سكن ومال وجاه ، لكنه لم تثنيه على مواصلة طريقه المنشود ، وربما العامل ذو الوزن الأكبر والأكثر تأثيراً هو أنتمائه السياسي ( الشيوعي ) . فكانت وجهته جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

كانت محطته الأولى في المهجر هي جمهورية اليمن الديمقراطية ( اليمن الجنوبي ) عاصمتها عدن ، تاركاً خلفه عراق مضطرب تحت مفارقات سياسية خطيرة أدت به الى حروب ودكتاتورية متسلطة ووحشة . في منفاه الأول وجد بحبوحة من فضاء واسع للتعبير عن كوامن دواخله في الغناء والتعبير مع رعيل من رفاق فكر وطريق جمعهم اليمن السعيد بعد أن ضاقت بهم أرض بلدهم الخضبة . منذ البدء ، وفي الأيام الاولى .. التي وطأت قدماه أرض اليمن أنخرط في النشاط الفكري والفني والسياسي لينقل للعالم معاناة شعبه وما تعرضوا له من أرهاب وتهميش بسبب معتقداتهم السياسية ، فبادر مع رفاقه بتأسيس فرقة غنائية ( سياسية ) ، أطلق عليها في حينها ( فرقة الطريق ) ، ضمت بين صفوفها سامي كمال ، المرحوم كمال السيد ، حميد البصري ، شوقية ، جعفر حسن ، المرحوم فؤاد سالم . تعرضت الفرقة بعد عدة نشاطات وأحياء مهرجانات الى عدم الاتفاق مما أدت تلك الخلافات الى تأسيس فرقة جديدة بأسم الطريق الثانية بين صفوفها سامي كمال ، والمرحوم كمال السيد ، لتميزها عن فرقة الطريق الأولى . وبمرور الأيام باتت أسم يشار لها بالبنان ليس فقط وسط جموع العراقيين الهاربين من بطش الدكتاتورية ، وأنما أيضا باتت مدار حديث الشعب اليمني ، وكان اليمنيين حريصين على مواكبة نتاجات الفرقة بما قدمته من أغاني سياسية هادفة في التعبير عن أرادة الشعوب في التوق الى الحرية . وعندما وصل الفنان سامي كمال الى العاصمة عدن ترك وراءه في بلده العراق زوجة وأطفال صغار بين أهاليهم وأقاربهم ، وكلما طالت الايام والذي كان يعتقد كغيره ربما ستمر تلك الايام ( أيام الغربة ) ، كسحابة صيف ستتلاشى بحرارة اللقاء المرتقب بصفقة سياسية بين أمراء القرار السياسيين . كانت ظروف العراق أنذاك مخاضاتها صعبة للغاية في ظل نظام لايتساهل حتى مع همسات معارضيه ، فكانت الاتصالات مقطوعة والرسائل ممنوعة بين معارضيه في الخارج وأهلهم في العراق والذين يتلون صبراً وشوقاً الى حنين اللقاء .

كلما أزدادت مسافات البعد ووطأة الغربة بين الفنان سامي كمال وعائلته في العراق تقربت مسافات الشوق بينهما في البحث عن منفذ للقاء يجمعهم في بقعة من معمورة الاراض الواسعة . السيدة أم اولاده ( أم فريد ) ، عانت الأمرين في العراق من العوز المادي لأم في حضنها أربعة أطفال صغار رغم مساعدة أهلها وأخوانها لها . والأمر الثاني الى هو أكثر خطورة هو خوفها الطبيعي على أولادها من ممارسات وأساليب النظام عليهم بأعتبارهم أولاد فنان ومعارض سياسي . بدأ صدى صوته يخترق تطلعات شعبنا المكتوية بقوة الحديد والنار .

في ظل تلك الأجواء المعقدة والمخيفة قامت زوجة الفنان سامي كمال أم فريد بحمل أولادها الأربعة وعبرت بهم حدود العراق بأتجاه العاصمة السورية دمشق للبحث عن زوجها وجمعه بأولاده الذين يحلمون بأمنية لقائه ، مثلما أرادت أبنته الصغرى حنان ، وفي فراقه لها ، أن تعبر بأمنيات تفوق سنوات عمرها لحزنها على فراق أبيها وتعبيراً عن حزن طفلة حرمت من دفء حضن والدها . وعندما حطت الأم رحالها مع أولادها الاربعة في العاصمة دمشق ، ولم يعثروا على أثر لوالدهم في دمشق أصابهم الحزن ويأس اللقاء .

الرفاق والمعارف في دمشق هما من دلهم الى وجوده في العاصمة اليمنية الجنوبية ( عدن ) ، وكأي أم عراقية شجاعة ووفية راحت تجرر باذيال أولادها في العواصم العربية غير مهابة من مخاطر الدنيا ومفاجآتها ، فوصلت بهم بعد معاناة جدية وخطيرة عبر الحدود والمطارات الى العاصمة عدن ، ليجتمعوا تحت سقف مهجور لفندق عتيق . وفي أروقة ومداخل هذا الفندق وتحت العوز الى العيش الرغيد والحنين الى الوطن . بدأت حياة تلك العائلة تتلمس شتاتها في العيش والتكيف مع ظروف هذا البلد وإهله الطيبيين تحت رياحها السامية كما .

مشى الزمن سريعاً على حياة تلك العائلة في العاصمة عدن ، أصبحوا جزء من حياة مجتمع وحركته الدؤوبة بين مئات من عوائل الشيوعيين العراقيين ، والذين تركوا وطنهم جبراً من بطش الدكتاتورية . وبعد سنوات وفي ظروف صعبة ألمت بحياة الفنان سامي كمال حزمت العائلة حقائبها بأتجاه العاصمة السورية دمشق لتكن محطة أخرى من محطات العائلة تاركه وراءها فرقة غنائية ( سياسية ) ، أطلق عليها في حينها ( فرقة الطريق ) ، ضمت بين صفوفها سامي كمال ، المرحوم كمال السيد ، حميد البصري ، شوقية ، جعفر حسن ، المرحوم فؤاد سالم . تعرضت الفرقة بعد عدة نشاطات وأحياء مهرجانات الى عدم الاتفاق مما أدت تلك الخلافات الى تأسيس فرقة جديدة بأسم الطريق الثانية بين صفوفها سامي كمال ، والمرحوم كمال السيد ، لتميزها عن فرقة الطريق الأولى . وبمرور الأيام باتت أسم يشار لها بالبنان ليس فقط وسط جموع العراقيين الهاربين من بطش الدكتاتورية ، وأنما أيضا باتت مدار حديث الشعب اليمني ، وكان اليمنيين حريصين على مواكبة نتاجات الفرقة بما قدمته من أغاني سياسية هادفة في التعبير عن أرادة الشعوب في التوق الى الحرية . وعندما للعلاج أمام تعهد من قبل المنظمة في رعاية عائلته خلال غيابه المؤقت ، وقد عانت العائلة من غياب الأب .

في بيروت المحترقة، بيروت العائمة على النار ، بيروت الحرب، بيروت المرصد ونقطة الانطلاق من جديد نحو الوطن وهنا كان سامي وغيره من الذين غادروا معه وقبله وبعده من المبدعين خاصة استجمعوا قواهم من جديد ليأسسوا مرحله مؤقتة (في ذلك الوقت) . وبهذا الوجود المؤقت في هذه المحطة من المنفى لم يهدأ له بال الا ان يقول كلمته، وينشد ، ويغني ، ليشارك زملاءه في المسرح والموسيقى ، أنتج وغنى ولحن العديد من الالحان التي تغني للوطن وتنبذ المنفى وتدعو للعودة مشاركاً في المهرجانات الفلسطينية والوطنية اللبنانية حيث كانت اغانيه تنشد الوطن . وظل صوته ينزف باتجاه وطنه رغم ما تعرض له من أحباطات وأمراض ويتلوى على أثر للدمه في دمشق أصابهم الحزن ويأس اللقاء .

محطة دمشق .... ومراحلها

وصلت عائلة الفنان سامي كمال الى دمشق في العام ١٩٨٢ ، بعد أن سبقهم الفنان سامي كمال للبحث عن مأوى وطمن أمن لمشقة ظروف العيش في بلاده ، كان العراق يومها دخل طاحونة الحرب بين الجارة اللدودة إيران وهيمنة دكاتورية الحزب الواحد . دمشق .. كانت الأكثر قرباً الى بلاده العراق ليس بالقرب الجغرافي فقط ، بل كان هناك إمتداد تاريخي وثقافي بين الشعبين العراقي / السوري . كانت على أرض دمشق تنشط عدة أحزاب وتنظيمات وكيانات معارضة لأنظمة بلدانها جمعت العراق ، فلسطين والبحرين ، وبلدان أخرى . كانت سوريا وهذا موقف يسجل لها أحتضنت كل قوى المعارضة ، لكن للأسف الشديد هناك من تنكر لهذه المواقف عندما سوريا وشعبها تعرضوا الى محنة الحرب أرض دمشق بين أوساط العراقيين والفلسطينيين في البحث والذود عن وطنهم . فبادر مع مجموعة من الفنانيين العراقيين بتأسيس فرقة فنية ( فرقة بابل ) . وجمعت الفنانيين تحت لوائها وأهدافها وأغانيها السياسية الهادفة . واصل الفنان سامي كمال نشاطه الفني على أرض دمشق دافعه هو حب الوطن والأرض وهن من أساسيات أنتمائه الفكري للحزب الشيوعي العراقي ، وإيمان هذا الحزب بالفن وألتزامه وأهدافه ( تحزب الفن ) .

مشقة العيش الرغيد من خلال البحث عن العمل لتوفير لقمة عيش نظيفة لعائلته ، كانت من أولويات حياة الفنان سامي كمال . قام مع مجموعة من الفنانين في دمشق بتأسيس فرقة بابل ( سامي كمال ، كوكب حمزة ، المرحوم كمال السيد ، حمودي شربه ، المرحوم فلاح صبار ، سالم الهبادلي ، فريد سامي ، جنان سامي ، حنان سامي ) . وفي الوقت نفسه كان رئيساً لفرقة ( بيسان ) الفلسطينية التابعة الى الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، والذي طاف بها المدن السورية والمخيمات الفلسطينية بأعذب الألحان وأوسع الاغاني أنتشاراً ( من يغسل الدم في الشوارع .. تقدموا .. لون البحر لونك .. ذاهب كي أرى كيف ماتوا .. أغنية مهداة الى الشهيدة سناء المحيدلي .. سلام للخليل سلام للجنوب ) . وكانت تلك الاغاني من ألحان الفنان سامي كمال ، وهي إنعكاس حقيقي للواقع العربي وتداعياته السياسية .

موهبة التلحين عند الفنان سامي كمال زاملته من بداياته الأولى وولوجه عالم الفن الغنائي ، راح باحثاً عن قوة اللحن والتي تليق بأدراكه لمعنى الفن ورسالته التاريخية ودوره في ذائقة الناس وصفهم نحو قضايا شعوبهم .

في العاصمة دمشق وعلى أرضها الواسعة كانت تعج بالنشاطات السياسية والصراعات الإيدلوجية بين قوى سياسية معارضة لأنظمتها مما أنعكست فنياً وأبداعياً على قوى الشارع ، أي على حالة الفن في العراق وأحتضانه ومتابعته من جمهرة واسعة من العراقيين تحديداً نشاطات وحفلات فرقة بابل . وفي ظل أجواء أجتماعية ونشاطات متنوعة غنية بالوفاء والمحبة كان سامي كمال يعاني من كمال الحزين ونغمات أوتار عوده يتدفأ بها العراقيين في ليالي دمشق الباردة . مازالت ذاكرة العراقيين تختزن بجمالية أيام سوريا وأجوائها الحميمية رغم مرور تلك السنيين الطوال في الغربة والتشظي .

وبعد سنوات طوال من العيش والاقامة والعلاقات والدفء في العاصمة دمشق . شد الفنان سامي كمال الرحيل مع عائلته الى القطب الشمالي مجبراً لمقتضيات العيش والتي بدأت تصعب في توفيرها السهل . مما دعته تلك المقتضيات في العام ١٩٨٨ الى ترك دمشق وفي نفسه لوعة لمشاريع لم تتحقق بعد على مستويات الفن والابداع ويأسه من الأعيب السياسة وأمراءها المنتحلون .

## محطة السويد .... وصقيع أجوائها .

يقول الفنان سامي كمال في اللحظة الأولى التي رست بها الباخرة العملاقة القادمة من ميناء ( سفينوشجه ) البولندي الى ميناء مدينة ( إيستاد ) السويدي ، وخرّتني نوبات حزن وفرح ، فرح غيطني بفرح عائلتي في الوصول بسلام الى أرض السويد ( الفردوس ) المفقود لنا وتأمين حالهم .. وحزن لازمني طيلة سنوات أقامتي في مملكة السويد رغم كل المميزات والخدمات التي حصلنا عليها ، لكني كفنان كنت أحمل في نفسي حزمة مشاريع وتطلعات وحب وطن والقتال من أجله ، وفي الوقت الذي حل به الفنان سامي كمال أرض السويد . تدفق أليها جموع من العراقيين أرض السويد من عدة بلدان ومن أصقاع الأرض بحثاً عن الأمان والعيش الآمن وضمان مستقبلهم ومستقبل أولادهم ، بعد أن ضاقت بهم سبل العيش وشعورهم باليأس من حلول سياسية قريبة تفرج عن أزمات غربتهم ومعاناتهم والتي طالت لسنوات ولا أفق قريب ينذر بالعودة الى الوطن ( الأم ) العراق . العراق وهو يطوي صفحات الحرب اللدودة مع الجارة إيران ، عندما تجرع السم الخميني في قبوله بأيقاف صفارات أنذاراتها ، والتي كانت أملا لبعض العراقيين في سقوط الدكتاتورية في العراق ، وعندما تلاشى هذا الأمل تدفق العراقيين الى صقيع بلدان القطب الشمالي بحثاً عن مأوى .

في هذه الأجواء الحميمية في وسط العراقيين وعلى أرض السويد ومدنها المزدحة بقدوم العراقيين . أحييت أملا في روح الفنان سامي كمال في تحقيق جزء من مشاريعه وأهدافها بأحياء الموروث العراقي والتلاقح الثقافي ومد جسوره مع ثقافة السويديين وتطلعاتهم الى ثقافة الشرق الغنية بتنوع تراثها ، فقام بوضع عدة نواتات لتأسيس فرق فنية يحيي من خلالها التراث العراقي وللمة صفوف العراقيين نحو تراث وتاريخ شعبهم جزء من ترسيخ الذاكرة الجمعية للعراقيين . لكن سرعان ما تلاشت الأحلام والطموحات وكهربت الأجواء بين العراقيين بعبور قوات الرئيس صدام حسين حدود الجارة دولة الكويت وإحتلالها وضمها الى الأصل وأعتبارها المحافظة العراقية التاسعة عشر ، مما تركت تداعيات خطيرة على المشهد السياسي العراقي وإمتداد تأثيره السلبي على لحمة العراقيين في المهجر وبروز الخلافات في وجهات النظر مما حدت من تطلعات الفنان سامي كمال حول رؤيته الجديدة في أنطلاق فرقة فنية تجوب بين وسط العراقيين في أوربا ، وتدفأ أجوائهم الباردة في بلدن الصقيع وتشد أزرهم نحو وطن بعيد .

وما لحق من تبعات هذا المشهد دخول قوات صدام حسين الى الكويت من موقف دولي في التحشيد بطرد قواته من الكويت وتحطيم العراق بنيات مبيته له سابقاً بالنيل من شموخه التاريخي لحصار قاهر أستمر لسنوات عجاف بلا مسوغ قانوني ولا رادع أنساني ، تلك التطورات لم يكن عنها بعيداً الفنان سامي كمال بل عاش في صلبها وتفاصيل يومياتها التدميرية تجاه وطنه في البحث عن منافذ لصد الكره عن ما سيصيب وطنه وأهله ، كانت معاناته تتعاظم يومياً في البحث عن الحلول وتقديم شيء لشعبه . تداخلت تلك الأحداث بأنهيار حلمه بالتجربة الأشتراكية في الاتحاد السوفيتي وبلدان المنظومة الأشتراكية ، فأنعكست فشل تلك التجربة بعد سبعين عاماً على الأحزاب الشيوعية في بلدان الشرق الاوسط والعالم وحركات التحرر وقوى اليسار ، ولم يكن الفنان سامي كمال بمعزل عن تلك الانهيارات لألتصاقه الوثيق بروحية وفكر تلك التجربة الشيوعية . وقد احس بالغدر في آماله وتطلعاته ، وكأنه بناء من الكارتون تهاوى على حين فجأة .

هذا الأحساس سيبقى منغصاً له ولي ولكل رفاق الطريق . خمسون عاماً .. طيلة تعلقه بالفكر والإيمان بالاشتراكية تذهب هباء ؟. كانا لينين وستالين وبوخارين هما رموز تلك التجربة في الاتحاد السوفيتي . وستالين هو الأكثر تمسكاً بكرسي السلطة وقمع معارضيه وقتلهم ، أنتهى به المطاف أن يقتال من أقرب الناس له ومشاركه في كل الجرائم بحق رفاقهم هو ( بيريا ) مسؤول جهازه المخابراتي الخاص .

الفنان سامي كمال في محطته الأخيرة وأستقراره في مملكة السويد في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات ومع حصول عائلته على تحقيق نجاحات على مستويات العمل والأستقرار الأجتماعي ، لكنه لم يهدأ باله بأتجاه أحوال العراق وما يبيت له من مكائد مصيرية مما بدت تنهش بجسده القوي ، الذي بدأ يضعف أمام الحنين الى الماضي وتأمله على تجارب الحلم التاريخية في الذود عن وطن أمن تسوده العدالة والمساواة .

عن الحوار المتمدن

# سامي كمال..عذوبة الصوت ورقة الألحان

قاسم حسن

الفنان سامي كمال صوت من الجنوب ، لايختلف عليه إثنان حيث يُجمع غالبية من يسمع صوته ، بانه الصوت الجميل والشجن والشدو الذي لا يعرف المستحيل ، إنحدر من مدينة الكحلاء .. مدينة الماء والحب والأهوار والشداء والأحزان ' والفضاءات والطبيعة الساحرة ، من تلك الأجواء غرّد طائر الشدو الحزين الفنان سامي كمال ...

في طفولته كان يتبارى مع أخيه في الغناء حيث شكلا فرقتين للغناء ، يستمع كثيرا الى الموسيقى والغناء العراقي بكل أنواعه ( الشعبي والبدوي والريفي) العربي ايضا كـ (المصري واللبناني ) كان هوسه وإدمانه على الغناء في كل وقت ومكان ، إكتشفه معلمه الاول ( زيون مدلول السهيلي) في المدرسة الابتدائية.. في الكحلاء ( ريف محافظة ميسان) وأخذ بيده مشجعا إياه على الأستمرار بالغناء وقدمه على اقرانه وزملاءه ليغني في احتفالات المدرسة ومناسباتها.. في شبابه إنتقل الى العاصمة بغداد التي أدهشته كثيرا لأختلافها عن بلدته ( الكحلاء) بانفتاحها وتعدد الثقافة فيها وكثرة المدارس الفنية والموسيقية ايضا ،تاثر كثيرا بالغناء المصري واللبناني وخاصة ( الرحابنة) وإضافة الى خلفيته المتأثرة بالغناء العراقي الجنوبي منه ( الريفي والشعبي) إنتمى هناك الى فرقة موسيقى الجيش كعازف على آلة الكلارنيت ، وفيها أتقن العزف على آلة العود وآلة السكسفون ، ومن هنا بدأت حياته الفنية والغنائية والموسيقية.. حيث تغيرت نظرته للموسيقى والغناء من مرحلة الهواية الى مرحلة الاحتراف .. معززا ذلك بالقراءات النظرية وتوسيع مداركه في البحث الجاد والتمحيص في الاختيار.. بدأ رحلته مع الغناء اواخر الستينات في فرقة المنشدين الصباحية.

عام ١٩٧٤ شكل مع بعض الشعراء والفنانين تجمعاً ضم نخبة مميزة من الشعراء والملحنين منهم الشاعر الراحل كاظم اسماعيل كاطع والشاعر كريم العراقي والشاعر فالح حسون الدراجي والشاعر كاظم السعدي والملحن كمال السيد والملحن كوكب حمزة ، والشاعر كريم راضي العماري الذي كتب له اغنية( دورة عيونج) ، في هذه الفترة لحن وغنى مجموعة من الاغاني التي لازالت تردد ويتغنى بها العراقيون محبي الغناء العراقي الأصيل ، رايح يارايح وين ، مدللين ، بين جرفين العيون "البريسم" التي تكنى بها المطرب حسن بريسم ، ياساهي العيون ، مدللين ، احبة وأريدة ، والحب ضاع للشاعر كريم العراقي .

أكثر ما يشدنا في أغاني هذا الفنان الرائع هو المذاق العراقي السلس مع لحنه الممتع و يتذكر العراقيون الفنان سامي كمال وأغنيته الشهيرة " رايح يارايح وين " والحاصله على جائزة أفضل أغنية عام ١٩٧٧-١٩٧٦ ، والتي لابد من الاشاره هنا الى ملحنها المرحوم الفنان الراحل كمال السيد والذي منحه أسمه الفني.

كان للملحن والفنان الراحل كمال السيد دورا مهما في تقديمه الى الساحة الغنائية العراقيه كصوت غنائي جديد في عام ١٩٧٤ بأغنيته المشهورة " مدللين " من كلمات الشاعر إسماعيل محمد إسماعيل، وبعدها توالت الالحان والاغاني التي لها طابعها الشجي والعراقي الاصيل نظرا لنجاحاته المبهره والتي يقتخر بها العراق وشعبه وتغنت بها الاجيال حيث غنى سامي العديد من ألحان المرحوم كمال السيد مثل أغنية " احبه وأريده " للشاعر كاظم اسماعيل كاطع و " الحب ضاع " كلمات كريم العراقي، وأغنية " بين جرفين العيون " من كلمات الشاعر مهدي عبود السوداني، هذه الأغاني التي اطربتنا والراسخه في ذاكرة العراقيين بصورتها الشعرية الدافئة والرقيقه والشجيه،وأصالته العراقية وموسيقاه التي تفيض منها الحانه وصوته الشجي ، وهذا وما نتلمسه أيضا في أغانيه على مدى ثلاثة عقود من العطاء.. وهو المتمرس في الغناء منذ أواخر ستينات القرن الماضي ، حيث دخل الأذاعة كمنشد في فرقة المنشدين الصباحية،

غادر الفنان سامي كمال العراق عام ١٩٧٩ بعد اشتداد الهجمة البربرية ضد الوطنيين والمثقفين والمبدعين من الفنانين الذين لايروق للنظام الفاسد ابداعهم الذي لايصب في خدمة الدكتاتورية والترويج والتطبيل لحزبها القائد والشيوعيين الذين ضيقت السلطة الديكتاتورية الخناق عليهم وبقية شرائح الشعب الواعية ، تنقل في غربته بين عدن ( اليمن الجنوبية سابقا) ودمشق وبيروت واستقر به المقام في السويد.

كانت محطات غربته ومنفاه دمشق وبيروت وعدن من المحطات المهمة في حياته الفنية بالرغم من قسوة الغربة ومرارتها وسلبياتها على الانسان والفنان خاصة ، كان منتجا في اللحن والغناء لوطنه وشعبه ، مناضلا بصوته والحانه ، تلك المحطات التي تختلف كثيرا عن محطته الأخيرة في السويد حيث الغربة المقيتة والمنفى البعيد بالرغم من إيجابياتها في كسب صحته ، التي ساءت لفترة غير قليلة منعته من الغناء والتلحين وبالرغم من ذلك ايضا انتج الحانا لازال يحتفظ بها .

في غربته أنتج ولحن وأنشد اغان كثيرة ، يشدو فيها وطنه وشعبه ، الذي دمرته السلطة الديكتاتورية المقيته ، أغان الحنين، اغان تجذرت في الوجدان العراقي ، أغنية( لبغداد) من أجل الألحان التي قدمها في تلك الفترة ( للشاعر هاشم شفيق) بالرغم من ان الكلمات لشاعر ليس غنائي وليست من الشعر الشعبي ،وأغنية( صويحب) رائعة الشاعر الكبير مظفر النواب وقصتها الشهيرة لذلك الفلاح المناضل من الريف العراقي ،وأغنية( دكيت بابك ياوطن) للشاعر الكبير شاكر السماوي ، يابحر ، مجبور افارك هلي ، ومادوعنة وغيرها من الاغاني الكثيرة.

وكغيره لم يسلم من مطاردة مخابرات النظام الفاشي في بغداد، وعملاءه حيث ينتشرون وبشكل مكثف في تلك البقعه المحررة من بيروت (الغربية) ، آنذاك حيث كان التحرك مقيدا ومجازفه كبيرة ، لما كان للنظام الفاشي في العراق، من عيون امتدت الى مؤسسات الدولة اللبنانية وبعض الأحزاب اللاوطنيه والمؤسسات الفلسطينيه وبعض منظماتها الموالية والمدعومة من نفس النظام ، وبدأت عملية الاغتيالات والملاحقات والاختطافات فما كان عليه، الا ان ينجو ( مرة اخرى) الى محطته الثانيه في المنفى ، مدينة عدن في جمهورية ( اليمن الديمقراطيه) وهناك ساهم بشكل مباشر وقوي في النهضه الموسيقيه في ذاك البلد الذي ساهم في استيعاب المناضلين من المبدعين وغيرهم في تلك المرحلة العصيبة ، حيث عمل كمدرسا للموسيقى واسس فرقة غنائيه انتجت الكثير من الاغاني العربية واليمنيه ولم يغب عن باله همه العراقي الذي رافقه في رحلته حيث شارك زملاءه من الفنانين المبدعين الذين التحقوا به في هذه البقعة من منفى العراقيين المبدعين أمثال الفنان حميد البصري والفنانة شوقيه والمرحوم الفنان كمال السيد والفنان حمودي عزيز إضافة الى الفنان جعفر حسن، وشاركهم تأسيس اول فرقه موسيقيه غنائيه عراقيه في المنفى وهي ( فرقة الطريق العراقيه) هذه الفرقه التي انتجت اجمل الاغاني الوطنيه العراقيه التي تغنت بالوطن والناس واخذت على عاتقها الوصول بالاغنيه العراقيه الى مستواها الحقيقي بعد ان دمرت السلطه الفاشية في العراق روحها وتفريغها من محتواها الانساني.

غادر اليمن الى سوريا ، المحطة الأكثر قربا الى روحه وفنه، بعد ان قضى فيها عدة سنوات " محطته الثانيه في المنفى " وهناك التحق برفيق دربه الفنان الراحل كمال السيد وزملاء منفاه الفنان كوكب حمزة والفنان المطرب فلاح صبار وأخرين ليأسسوا من جديد فرقتهم الموسيقية والغنائية ( فرقة بابل الغنائية ) عام ١٩٨٣ حيث كانت هذه الفرقه وزميلتها فرقة الطريق في اليمن صوتا عراقيا حقيقيا للانسان العراقي المنفي حيث كانت الاغاني الوطنية والتراثية العراقية ، تشكل المصدر الروحي الملهم لهاتين الفرقتين.

قدم الفنان سامي كمالمن خلال هذه الفرقة الكثير من الاغاني والالحان اضافة الى عمله مع الفرقة الموسيقية للشبيبه الفلسطينية التي اسسها في وقت سابق.

تميزالفنان سامي كمال بطيبته وبساطته ، كغالبية من جايلوه من الفنانين والمبدعين العراقيين، ورغم شهرته ونجوميته حافظ على تواضعه وبساطته التي تجسدت بحبه للوطن والناس والوفاء لأحبته ، فقد امتلك القدر العالي من الحب والعاطفة التي بصمت نتاجه الفني وتجذرت في روحه وعذوبة صوته الشجي.

يقول الفنان في لقاء سابق معه :-

(كانت سوريا هي الاقرب الى قلبي بعد العراق ومن ثم يأتي اليمن ، ذلك البلد الجميل ، وشعبه الاصيل ، في سوريا كان هناك ثمة تلاقح في الرؤى والتطلعات بيني وبين عدد من الفنانين العراقيين و السوريين والعرب ، كانت رفقة مثمرة ومنتجة ، اذ لا يمكن لأية اغنية ان تكون بين ايدي الناس من دون ان تمر بهذا الكم الهائل من الشعراء والموسيقيين والملحنين، وكانت الاغاني التي أنتجتها ولحنتها في تلك الفترة (مو حزن لكن حزين) للشاعر الكبير مظفر النواب، وغيرها من الاغاني التي كتبها عدد من الشعراء وقمت بتلحينها جميعا ، جميع الاغاني التي غنيتها منذ مغادرتي العراق عام ١٩٧٨ وحتى توقفي عن الغناء هي من الحاني).

عانى ويعاني الفنان سامي كمال كثيرا ، كغيره من الملحنين العراقية وخاصة المغتربين منهم ، من موضوع سرقات نتاجهم والحانهم وأغانيهم لعدم وجود قانون يحمي الفنان ونتاجه من السطو على أعماله ، حيث أن أغنياته التي تعرضت للسطو كأغنية (رايح يارايح وين) وأغنية (بعدج زغيرة عالسهر) وأغنية (أحبه وأريده ) وكذلك (ولاتكول الحب ضاع) وأغنية (يابحر) ... الخ ، ومع هذا أن الذي يتابع الغناء العراقي يعرف جيدا لمن تعود هذه الأغنية أو تلك .

تعرض الفنان عام ١٩٩٤ لجلطة دماغية حادة كادت أن تودي بحياته، لولا صبره وعصاميته وحبه للحياة، ووقوف أهله واصدقاءه ومحبيه الى جانبه، وزوجته العظيمة التي كان لها الدور الأكبر في رعايته والوقوف الى جانبه ، ومنذ ذلك توقف عن الغناء والتلحين.. وكانت خسارة فادحة وكبيرة ولاتعوض .

سألته عن مشاعره عن حال العراق اليوم وعودته القصيرة للوطن بعد منفى دام ثلاثة عقود... قال:-

كان من أحلامي أن أرى سقوط الدكتاتور ونظامه الفاشي .. واعود لأغني لشعبي ووطني وكانت فرحتي كبيرة ولاتوصف .. ولكن يبدو أن احلامي قد تبددت ، ويالسخرية القدر، حيث وجدت بقايا العراق ولم أجد العراق .. الناس مختلفون ، الثقافة ، الشوارع ، وجدت أشلاء العراق.

وعن حال الاغنية العراقية اليوم ومتابعته لها .. قال لازال أملي كبير بشبابنا وقدرتهم.. مثل النّيل عادتنه ننكص نرد إردود.

والفنان سامي كمال لايخفي مشاعره يقول مايؤمن به دوما.

(من الممكن جدا ان يمر الانسان ، اي انسان بالذي مررت به ، داخل الوطن وخارجه ، كنت ولازلت احمل في اعماقي رسالة ، كي اوصلها للناس ، وأعتقد أنني نجحت في ايصالها وتأديتها على اكمل وجه وانا راض عن ادائي وعملي ومأقدمته .. أفكر دائما بوطني وحزني كبير على مايحدث الآن ، هذا الحزن المعجون بالفرح لأنه تخلص، والى الأبد، من دكتاتور وطاغية قل نظيره في هذا العصر .

نظرة سريعة على عناوين اغانيه ومجموعاته الغنائيه التي صدرت له في بيروت وعدن ودمشق نرى ان الوطن ، الامل ، الحب ، العوده ، الغربه ، التحريض على معاداة الفاشية والعنصرية والشوفينيه لنظام فاشي قل نظيره في تاريخنا في عالمنا القديم والحديث حيث كانت مجموعته التي صدرت في دمشق عام ١٩٨٤ شاهدا على ذلك والتي تشدنا للوطن وتنشد الحريه وتحمل كل هذه المعاني التي ذكرت.

فكانت أغنية (لبغداد)و( دكيت بابك ياوطن) .. ( صويحب) التي اشتهر بها.. ( يابحر ) وأغنية (مشتاك يافاتني) .. ( دكيت بابك ياوطن) ..( شلون بيه وبيك يبنادم) وغيرها الكثير.

• عن الحوار المتمدن





# سامي كمال.. مرارة الغربة لم تمحُ عذوبة الصوت

قاسم موزان

تميز سامي كمال (١٩٤٠ - ٢٠٢٥) بصوته الجميل العذب القريب من الروح الريفية العراقية من ذائقة المتلقي، قدم أعمالا غنائية لا تنسى وترك بصمات لامعة في المشهد الفني، ولد كمال في قرية مسيعيدة المنسية في قضاء الكحلاء بمحافظة ميسان في بيت متواضع، منذ طفولته الغضة حمل مسؤوليات جسيمة، ففي مطلع شبابه تبلورت لديه الافكار اليسارية، ودافع عنها بوصفه ضحية الظلم والاضطهاد، وعانى كثيرا هو عائلته الكادحة، فكان لا بد من اتخاذ قرار حاسم بالانتقال مع عائلته الى بغداد مطلع خمسينيات القرن الماضي، حيث وجد فضاءً ثقافيا وفنيا رحبا، يمكن أن يعبر عن طاقاته الفنية عبر القنوات الابداعية المتوفرة بالعاصمة آنذاك.

التقى باسماء مهمة رسمت له خطواته الاولى خلال مشواره الفني وفي مقدمتهم الملحن الراحل كمال السيد الذي يعد الأب الروحي له، ومنحه اسمه الفني، فضلا عن اسماء اخرى بارزة في التلحين والتاليف مثل: عباس جميل ومحمد عبد المحسن وشعراء بارزين مثل كاظم اسماعيل الكاطع وكريم العراقي. في بداية حياته التحق بفرقة موسيقى الجيش، وكان يعزف على آلة الكلارنيت، ثم تعلم العزف على العود والسكسفون ثم تطورت هوايته الى الغناء وبدأت انطلاقته الفنية اواخر الستينيات من القرن الماضي في فرقة الانشاد الصباحية، ثم قدم أغاني خالدة بكلماتها والحانها وصوته الشجي وتستند الى ذوق مرهف لا تزال محفورة في الذاكرة منها: " مدللين، رايح يارايح، احبه واريده، لا تكول الحب ضاع، بين جرفين العيون، صويحب ".. وغيرها من أغاني الحب والنضال والغربة، انه صوت جنوبي ترعرع في صميم المعاناة، وظل مصرا على البقاء في حياة يشوبها القلق .

في السبعينيات كانت المنافسة الفنية قائمة بين الاصوات الجميلة، وكان سامي كمال أحد الاصوات، التي ذاع صيتها لدى جمهور واسع، إلا أن النظام آنذاك ضيق الخناق على الوطنيين والمثقفين والفنانين، ذات الميول اليسارية وشعر سامي كمال بانه مستهدف لفكره وفنه ولم يبق امامه، الا الرحيل من بغداد التي عشقها بصدق الى المنافي والغربة.

غادر الوطن العام ١٩٧٩ متوجهاً إلى بيروت، ثم انتقل الى عدن، ازداد صوت الوطن في داخله وكان الدافع لتقديم العديد من النشاطات الفنية، وأسس بالمنفى العديد من الفرق الغنائية، برفقة عدد من الفنانين الكبار امثال جعفر حسن وكوكب حمزة وحميد البصري وشوقية وكمال السيد واخرين، فأسس فرقة " الطريق "، وفي دمشق أسس فرقة " بابل" العام ١٩٨٣.

لكن المرض أوقف مسيرته حين أصيب بجلطة دماغية العام ١٩٩٤ أجبرته على التوقف عن الغناء والتلحين، غير أن اسمه ظلّ حاضراً في ذاكرة العراقيين ورمزاً في الاخلاص للوطن وحب الناس

# سامي كمال .. حين عزف لحنه الاخير ظل الوطن يصدح بأنغامه

د. حسين الانصاري

لقد ترك وصيته قبلا الرحيل الأخير أن لا تُذرف دمعة، ولا يغلف القلوب حزن، بل توقد الشموع وتعزف الموسيقى لأحانه التي أنجزها لوطن ظل يرافقه حتى آخر العمر.

رحل سامي كمال هادئا كما كانت نغمة عوده، ونديا كما كان صوته حين يهمس للحن بالحب والامل . لم يكن مجرد ملحن، بل كان داعيا للنضال و حارسا للجمال ، يسكنه الوطن وتفيض منه الأغاني والأشعار . في غيابه، ظلت موسيقاه حاضرة كنبض لا يخفت، تروي للأجيال حكاية فنان وهب عمره لمحبة الناس وترك في الذاكرة لحنا لا يشيخ .

وهكذا حين يرحل المبدعون يتضاعف حزننا لاننا نخسر ليس اشخاصا عابرين وانما نفقد جزءا من تأريخ وطن وذاكرة ارث وأمل يظل حاضرا على مر الزمن.

يا له من يوم حزين برحيلك! لقد كنت، أيها الفنان الأصيل، حاضرا وفاعلا في حقبة النضال والكفاح، وحمامة الوطن المجروح التي حَلقت في سماء الأمل، ترفرف بأجنحة من أنغام وترانيم لوطن دنسته اقدام الديكتاوريين والمتسلطين والفاسدين.

رحلت عنا ياسامي كما رحل قبلك كمال السيد وكوكب حمزة وجعفر حسن و مبدعون اخرون، لكنك خلفت وراءك كنزا ثمينا من الألحان التي لم تكن مجرد أصوات وايقاعات، بل كانت تراث حية تنبض لحال شعب ذاق المرارات بسبب حكامه الذين عبثوا بمقدرات وطنهم ودمروا بنيته ومجتمعه بل حولوه الى ملايين من المنفيين والجرحى والشهداء والأطفال الذين حرموا من طفولتهم ،والنساء الأرامل واليائسات والمحرومات من ابسط الحقوق. ،وسط هذا الخراب كيف لا تكون اغانيك نوح على وطن مازال يئن تحت وطأة المحن والأزمات.

في زمننا الجريح، تحول صوتك سلاحا لا يقل صولة عن البنادق، يهز أركان السجون والقيود، انها مواقف بطولية بوجه أعداء الحياة، كل حرف فيها هو صرخة تمرد وكل نغم هو احتجاج ورفض للواقع.

جعلت من جرح (صويحب) للشاعر مظفر النواب اجنحة من حرية وكرامة. حيث يقول:

(شوسع جرحك
، ما يسده الثار
.. يصويحب
، وحك الدم
ودمك حار
، من بعدك
مناجل غيظ أيحصدن نار
شيل بيارغ الدم ، فوك ياالساعي
صويحب من يموت المنجل يداعي)

كل لحن من ألحانك الباسلة كان نداءً يهتف في الناس قوموا للذود عن حمى هذا التراب، واكتبوا مجدا جديدا بأحرف من نور، واذكروا مجد عراق و حضارة صنعها الأجداد بإرادة لا تنكسر.

أيها الفنان السامي برسالته، الكامل بإنسانيته وعطائه! لقد تركتنا نحمل الأمانة من بعدك لأجيال تبحث عن مستقبل وفي ظل أغانيك، رسمت امنيات أصبحت جزءا من أحلامنا. نحن نغنيها اليوم، نغني فوق دموع الأحرار، وفي أعماق المعاني التي زرعتها في كل مكان حللت فيه من العراق إلى سوريا ثم اليمن واخيراً استقر بكم المقام في مملكة السويد. بلد حقوق الإنسان الذي اخترت الإقامة فيه.

كلا..لن تموت ياسامي لانك خالد في كل القلوب والنفوس التي أحببتك وحضرت توديعك بالمئات لمثواك الأخير في حدائق مقبرة المسلمين بمدينة مالمو فمن يغني للوطن والحياة يخلد في ذاكرة الناس. كل ما مررت به من صخب الحياة، وكل أنغام الموسيقى، وكل كلمة أنشدتها للحق، ستظل تروي للأجيال قصة فنان كان صوته يصدح بأسم أبناء وطنه، وانتماء صادقا لقضيتهم، وعازفا مبدعا على أوتار الكفاح الذي لا ينتهي.

ها أنت ذا ترتفع ساميا في السماء، وتظل كما لا راسخا في القلوب حيا فينا. ستظل كالنغم الذي لا يعرف النهاية، كالوعد الأبدي الذي يتردد في آذان الدهر، كالطرب الأصيل الذي يروي ظمأ الروح وعنوانا للحقيقة والحرية والجمال.

# سامي كمال.. مطربُ الجنوب المنفي وصوت الوطن الغائب

رحيم الحلي

تعرفت إليه في دمشق في أوائل الثمانينات حين عملت في الفرقة الغنائية التي أسسها الملحن كمال السيد. أصبح صديقاً قريباً لي، حيث جذبني صوته وطيبته للاقتراب من شخصيته الإنسانية التي اتسمت بالوفاء والصدق والبساطة. واليوم، أعيش قريباً من مدينته مالمو في السويد، وهكذا جمعتني به المنافي منذ أكثر من أربعة عقود من الغربة.

في زوايا الذاكرة الفنية العراقية، يلمع اسم سامي كمال كأحد أبرز الأصوات التي صدحت بحب الوطن والناس، ثم خفت صداه قسراً بفعل النفي والاضطهاد. إنه المطرب المنسي نفياً، والذي غادر الوطن حاملاً صوته وعشقه للفن، بعدما ضاقت به البلاد وضيقت عليه الحياة.

ولد الفنان سامي كمال عام ١٩٤٠ في قضاء الكحلاء (السعيدة) التابع لمحافظة ميسان، في بيت متواضع لكنه زاخر بالقيم والعمل والكرامة. والده "مناتي" امتهن خياطة العباءة العربية، ووالدته كانت ربة بيت لرجل شاب طموح هو أكبر أولادها الستة. ومنذ طفولته، حمل سامي مسؤوليات كبرى، سرعان ما تبلورت في انحيازه المبكر للأفكار الماركسية، وفي حبه للفن، والغناء تحديداً.

كانت بداية التحول الحاسمة في حياة سامي كمال حين انتقلت أسرته إلى بغداد مطلع الخمسينيات، حيث وجد في العاصمة فضاءً جديداً رحباً، ثقافياً وفنياً. وهناك التقى بأسماء لامعة تركت في مسيرته أثراً لا يُمحى، على رأسهم الراحل كمال السيد، الذي يعتبره الأب الروحي له، إضافة إلى الملحنين محمد عبد المحسن وعباس جميل، والشعراء كاظم إسماعيل كاطع وكريم العراقي وغيرهم.

في بغداد، التحق سامي كمال بفرقة موسيقى الجيش، فعزف على الكلارنيت، ثم تعلم العزف على العود والسكسفون، وتحولت هوايته للغناء إلى مهنة وحياة. بدأت انطلاقته الفنية من فرقة المنشدين الصباحية في أواخر الستينيات، ومع بداية السبعينيات بدأ يثبت اسمه بين أبرز الأصوات العراقية، حيث لحن وغنّى أعمالاً لا تزال خالدة في الذاكرة، منها "مدللين"، و"رايح يا رايح وين"، و"أحبه وأريده"، و"لا تكول الحب ضاع"، وغيرها الكثير.

رغم ازدهار الفن العراقي في عقد السبعينيات، إلا أن النظام السياسي آنذاك أطلق حملات منظمة ضد الوطنيين والمثقفين والفنانين، فوجد سامي كمال نفسه مستهدفاً، لا لشيء سوى لفكره وانتمائه الفني. فقرر الهجرة، تاركاً بغداد التي أحب، نحو المنفى الذي استمر لعقود.

تنقّل في منافيه بين بيروت وعدن ودمشق، لكنه بقي وفياً لصوته ولرسالته الفنية. في عدن، أسس فرقة غنائية وساهم في تدريس الموسيقى، وهناك انطلقت "فرقة الطريق العراقية" بمشاركة الفنانين حميد البصري، شوقية، كمال السيد، وجعفر حسن، وكانت هذه الفرقة صوتاً مناضلاً يُغني للوطن ويؤرّخ للمنفى باللحن والكلمة.

وفي دمشق، أسس مع زملائه "فرقة بابل الغنائية" عام ١٩٨٣، التي أصبحت مع شقيقتها في اليمن واجهتين أساسيتين للأغنية العراقية الملتزمة. قدم عبرها أغاني وطنية وإنسانية لا تُنسى، منها: "يا وطنه"، "دكيت بابك يا وطن"، "يابحر"، "مشتاك"، و"صويحب"، التي شكّلت ذروة الإبداع في تجسيد وجدان الوطن في زمن القمع.

أصالة صوته وروحه العراقية تجلّت في أعماله الكثيرة، مثل "بين جرفين العيون"، "حنينه"، "خذني على إيدك فرح"، "ذمة بركبتك يا قمر"، "جابولي خبر"، "ما ودعونه"، "رحّالة نمشي على النجم"، و"استمد الشجاعة"، وغيرها من أغاني الحب والغربة والنضال.

في عام ١٩٩٤، تعرّض سامي كمال لجلطة دماغية حادة كادت تودي بحياته، فأجبرته على التوقف عن الغناء والتلحين، لكنه لم يتوقف عن كونه رمزاً فنياً وثقافياً مناضلاً، حمل صوته قضية، وأغنياته وجع وطن، وبقي في ذاكرة العراقيين وفياً لهم، حتى في أشد لحظات الغربة والخذلان.

سامي كمال ليس فقط مطرباً، بل وثيقة حيّة لذاكرة العراق الفنية، وصوتٌ جنوبيٌّ خرج من "الكحلاء"، حيث الماء والهوى والأهوار، ليصل صداه إلى العالم. هو المطرب الذي غيّبته المنافي، لكن صوته بقي شاهداً على الزمن الجميل، زمن الأغنية العراقية الصافية، والإنسان الذي غنّى للحب والحرية.

تحية لك يا سامي... فناناً، وإنساناً، ومناضلاً.

عندما يُذكر الغناء العراقي الأصيل، يبرز اسم الفنان الكبير سامي كمال كأحد أعذب الأصوات التي ولدت من رحم الأهوار، ونمت بين ضفتي الشجن والحب. هو ابن قضاء الكحلاء في محافظة ميسان، المولود عام ١٩٤٠، الذي حمل الوطن في صوته، وسكب الحنين في أوتار ألحانه، ليصبح أحد رموز الأغنية العراقية الملتزمة.

منذ طفولته، شغف سامي بالموسيقى والغناء، يصنع من لحظات اللهو مسارح صغيرة يطلق منها نغماته العذبة. وقد التقط هذا الحس الموسيقي معلمه زبون مدلول السهيلي، ففتح له باب الحضور في نشاطات المدرسة ومناسباتها. ومع انتقاله إلى بغداد، التحق بفرقة موسيقى الجيش وأتقن العزف على الكلارنيت، ثم العود والسكسفون، لينتقل من الهواية إلى الاحتراف.

في سبعينيات القرن الماضي، برزغ نجمه حين قدّمه الملحن الكبير كمال السيد إلى الساحة الغنائية من خلال أغنية "مدللين" عام ١٩٧٤، وهي من كلمات الشاعر إسماعيل محمد إسماعيل. ومنذ ذلك الحين، توالت النجاحات، فغنّى "رايح يا رايح وين" التي حصلت على جائزة أفضل أغنية عراقية لعام ١٩٧٦–١٩٧٧، إلى جانب "أحبه وأريده"، "يابحر"، "مشتاك"، "شلون بيه وبيك يبنادم"... وكلها أعمال تستصرخ الذاكرة العراقية وتدعو للحرية وتقاوم القمع.

رغم الجلطة الدماغية التي أصابته عام ١٩٩٤، ظلّ اسمه محفوراً في ذاكرة العراقيين، وصوته يتردّد في وجدان كل من عاش الغربة أو حمل الوطن في القلب.

سامي كمال لم يكن مجرّد مطرب، بل كان إنساناً، مناضلاً، فناناً أمن بأن الأغنية ليست للتسلية فقط، بل سلاح ناعم في وجه الطغيان.

فأين نحن من تكريمه؟ وأين الوطن من أبنائه الذين أعطوه العمر كله؟

تحية لك يا سامي... فناناً وإنساناً ومناضلاً.

تحية لصوت لم ينكسر، ولناي لم يصمت، رغم الغربة وجحود الزمان.

وهناك كان له دور ريادي في النهضة الموسيقية، إذ عمل مدرساً للموسيقى وأسّس فرقة غنائية أنتجت العديد من الأغاني اليمنية والعربية، لكنه ظلّ يردّد أوجاع العراق.

برفقة كوكبة من الفنانين العراقيين المنفيين، أمثال حميد البصري، شوقية، كمال السيد، جعفر حسن، حمودي عزيز، أسّس فرقة الطريق العراقية، التي قدّمت أجمل الأغاني الوطنية التي أعادت للأغنية العراقية روحها بعد أن دمرها القمع. ثم انتقل إلى سوريا عام ١٩٨٣، وهناك أسهم بتأسيس فرقة بابل الغنائية إلى جانب كمال السيد، كوكب حمزة، فلاح صبار وغيرهم. كانت هذه الفرق صدى حقيقياً لصوت المنفى العراقي، حيث مزجت التراث بالحنين، والألم بالأمل.

من أبرز مجموعاته الغنائية:

"لبغداد"، "دكيت بابك يا وطن"، "صويحب"، "يابحر"، "مشتاك"، "شلون بيه وبيك يبنادم"... وكلها أعمال تستصرخ الذاكرة العراقية وتدعو للحرية وتقاوم القمع.

رغم الجلطة الدماغية التي أصابته عام ١٩٩٤، ظلّ اسمه محفوراً في ذاكرة العراقيين، وصوته يتردّد في وجدان كل من عاش الغربة أو حمل الوطن في القلب.

سامي كمال لم يكن مجرّد مطرب، بل كان إنساناً، مناضلاً، فناناً أمن بأن الأغنية ليست للتسلية فقط، بل سلاح ناعم في وجه الطغيان.

فأين نحن من تكريمه؟ وأين الوطن من أبنائه الذين أعطوه العمر كله؟

تحية لك يا سامي... فناناً وإنساناً ومناضلاً.

تحية لصوت لم ينكسر، ولناي لم يصمت، رغم الغربة وجحود الزمان.

# مسحة الحزن في الغناء العراقي

## حوار مع الملحن والمطرب سامي كمال

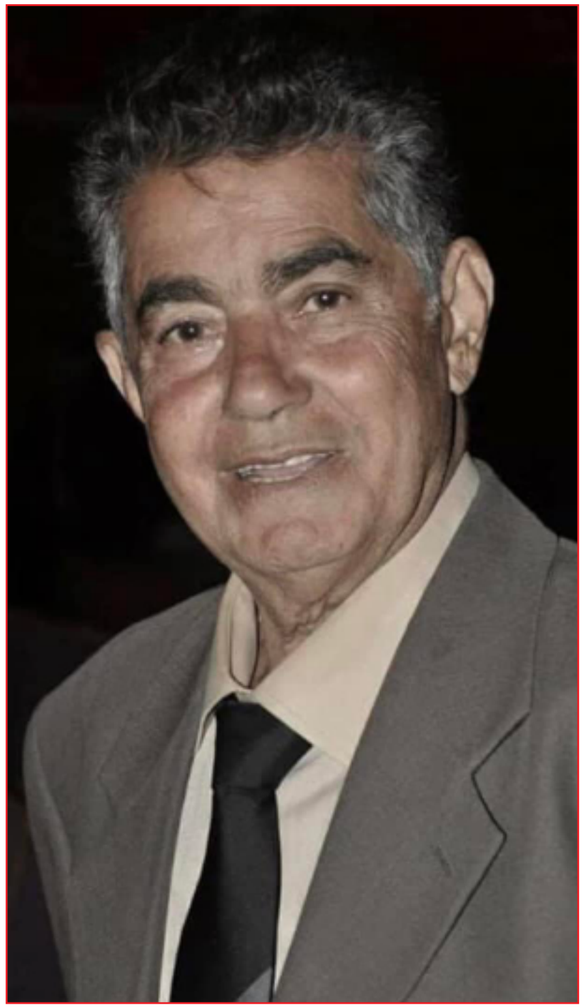

سعدون هليل

الحزن سمة من سمات المجتمع العراقي عموما ، اذ يمثل انعكاسا لواقعه المعيش ، والذي انسحب على كافة الفنون البصرية والسمعية خاصة الأغنية ، التي حملت معاناة وآلام الإنسان لتجد قبولا أكبر لدى المستمع كونها توافق أحاسيسه وتلامس مشاعره وبالتالي فإنها تعمل على تنقية النفس المتعبة من متاعبها وتوفر لها الراحة من خلال معايشة المستمع لمضمون الأغنية ومشاركته متاعبهم وبتلك المشاركة تخف وطأة الحزن والألم عن نفسه ولتسليط الضوء على واقع الأغنية العراقية كان لنا هذا الحوار مع الفنان المبدع سامي كمال الذي ترسخ اسمه في وجدان وذاكرة الناس من خلال صوته وألحانه العذبة .

• المتعارف عليه ان الأغنية العراقية تنضح حزنا ، وتحديدا في الجنوب ، كيف ترون ذلك ؟

ـــ ان أية أغنية لها منابع تنهل منها ، والأغنية العراقية تحديدا بالرغم من كونها متأصلة بالتاريخ العراقي الممتلىء بالأحداث والأقوام التي مرت عليه وتركت هذه الأقوام بصماتها على الأغنية العراقية ، كذلك الحزن الشديد الذي خلفته فاجعة كربلاء والجور الذي تعرض له الشعب العراقي على مر الزمن وبالأخص الجنوب ، وتوالي السلطات القمعية ابان الخمسينات والستينات حتى سقوط النظام الفاشي الذي ترك ارثا كبيرا من المآسي نتيجة حروبه التي خلفت الآلاف من الأرامل والأيتام .

• مايزال تأثير الأغنية السبعينية مهيمنا على ذائقة المتلقي العراقي ، رغم ظهور العديد من الأسماء الجديدة ؟ ماهي الخصائص التي جعلتها تتوغل في الذائقة للفرد العراقي ؟

ـــ من الطبيعي ان كل أغنية تؤرخ للفترة التي ظهرت بها ، فنرى ان أغنية السبعينيات وتميزها عن الأغنية العراقية الحالية هو بسبب انتعاش الجانب الثقافي برمته وبالتالي انعكس هذا الانتعاش على الأغنية ، أما الأغنية الآن فهي انعكاس للواقع الثقافي الحالي وهذا لايعني خلو الساحة الفنية من العناصر الجيدة مثل الفنان كريم منصور والفنان كاظم الساهر وماجد المهندس وحسن بريسم ومحمد عبد الجبار وغيرهم .

• تلك الألحان والأصوات الشجية ، هل هي ترنيمات يعزفها قصب الأهوار حين تهزه الريح أنصاف الليالي الشتائية قبل أن تنتقل الى حناجركم ؟

ـــ سبق وان قلنا عن منابع الأغنية العراقية وهذا مايؤكده كلامي من أن الريف العراقي بجماله وصدقه وناسه لهو خير نبع للأصالة والجمال ، وكما تعرف ان دور الفنان ومدى صدقه يعتمد على رؤيته لما حوله وهو يهضم جمال الطبيعة ويتحسس حتى النسمات من حوله .

• هل أضافت الغربة للفنان سامي كمال شيئا على صعيد الأغنية واللحن ؟

ـــ بالتأكيد ان الغربة بالرغم من مراراتها وقسوتها قد فجرت في داخلي الكثير نتيجة للحنين الجارف الى وجوه الأهل والناس والوطن فقد لحنت العديد من الأعمال وتعاملت مع العديد من الشعراء العراقيين والعرب وأسست فرقا غنائية عراقية وعربية مثل فرقة بيسان الفلسطينية وفرقة بابل العراقية وفرقة الضفاف وقبلها فرقة الطريق حيث كنت أحد مؤسسيها في اليمن الديمقراطية .

• الألحان التي ينفذها الفنان تعتبر جهدا ابداعيا كبيرا .. في الساحة العراقية لاتوجد حماية لحقوق الفنان ، كما ان هنالك سرقات كثيرة تحدث في الوسط الفني ؟ ما وجهة نظرك في الموضوع ؟ وهل تعرضت ألحانك الى السطو ؟

ـــ في الحقيقة لقد عانيت كثيرا بشأن موضوع السرقات حالي حال الكثير من الفنانين بسبب عدم وجود قانون يحمي الفنان ونتاجه من السطو على أعماله ، ومن الأعمال التي تعرضت للسطو هي أغنية ( رايح يارايح ) و ( بعدج زغيرة عالسهر ) و ( وأحبه وأريده ) و ( ولاتكول الحب ضاع ) وقد سمعت أخيرا من أحد الأصدقاء أن أغنية ( يابحر) هي أيضا قد سجلت بصوت لاأعرفه وأنا أفضل عدم ذكر أسماء الذين قاموا بسرقة ألحاني وهم معروفين لدى المتتبعين للأغنية واللحن العراقي .

• هنالك مطرب وآخر مغنٍ ؟ هل لحنتم للمطربين فقط أم للمغنين أيضا ؟

ـــ نعم لقد لحنت لمطربين ومغنين فالمطرب الذي يغني ويطرب المستمعين وينقلهم الى أجواء خاصة تساهم في بث الراحة والانتعاش في نفوس المستمعين والمغني هو من يؤدي الأغنية دون أن يؤثر تأثيرا حادا كما يفعله المطرب ولعلك تسأل لماذا اذن أنا لحنت للمغنين وللاجابة على هذا السؤال أقول أملا في أن أصنع من بعضهم مطربين متميزين .

• هل هناك جديد لدى الفنان سامي كمال في اللحن والأغنية ؟

ـــ في سنة ١٩٩٤ تعرضت للاصابة بالجلطة الدماغية وترك هذا المرض أثره عليّ كمغن وملحن مما جعل محطاتي فادحة ولاتعوض إلا بوجودي داخل وطن ووسط أحضان ناسي وأهلي .

• كيف كان شعورك وأنت تطأ أرض بلادك بعد غربة طويلة . وكيف تلقيت خبر سقوط الطاغية ؟

ـــ كانت فرحتي لاتوصف حين سمعت بسقوط الطاغية وكانت أمنيتي أن يسقط النظام وأغني بينكم لكن سخرية القدر منعتني من هذا الحلم.



العدد (6008) السنة الثالثة والعشرون - الخميس (16) تشرين الأول 2025

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

هيئة التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:

www.almadasupplements.com
Email: info@almadapaper.net
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

# رحل سامي كمال بعيدا عن الوطن المشغول

محمد الشحري

تختلط هذه الأيام لدى كاتب المقالات عدة موضوعات تبدو متباعدة لكن بنيتها متشابكة، فعلى سبيل المثال ما الذي يجمع بين وفاة فنان عراقي في السويد وبين ذكرى السابع من أكتوبر والإبادة الجماعية التي يتعرّض لها الشعب الفلسطيني في غزة، وأيضا احتجاز المئات من الناشطين العالميين المتعاطفين مع القضية الفلسطينية. إنها حتما موضوعات مختلفة لكن يجمع بينها خيط واحد هو نضال الإنسان لأجل الحرية والخلاص من الاستبداد، خاصة إذا كان الإنسان فنانا يجد في فنه مصدر تعبيره يقوده إلى التضامن مع القضايا الإنسانية العادلة، ويتحمل تبعات مواقفه السياسية ومعتقده الأيديولوجي. ومن هؤلاء الفنانين المطرب العراقي سامي كمال (١٩٤٠- ٢٠٢٥) الذي رحل يوم الخميس الماضي في منفاه السويدي وتحديدا في مدينة مالمو التي تذكرنا بالشاعر العُماني الراحل زاهر الغافري (١٩٥٦-٢٠٢٤) وأيضا بالعديد من المهاجرين العرب الذين اختاروا الإقامة في مالمو نظرا لدفء طقسها مقارنة بباقي المدن السويدية.

ظهر الفنان سامي كمال في إحدى الصور مرتديا الكوفية الفلسطينية وقميصا كُتب عليه بالأحرف الإنجليزية (P.F.L.P) والتي ترمز إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. فما علاقته بفلسطين. من خلال البحث عن الفنان نتعرف على «الصوت الملتزم» بتوظيف الفن للحرية والتعبير عنها. فقد ولد سامي مناتي في قضاء الكحلاء بمحافظة بيسان لأسرة يمتهن الأب فيها خياطة البشوت. قبل انتقال الأسرة إلى بغداد والتحاق سامي بفرقة موسيقى الجيش والتعرف على الفنان كمال السيد (١٩٤٤-٢٠٠١) الذي شجّعه على الغناء ولحّن له أهم الأغاني مثل «رايح يا رايح وين» وأغنية «مدللين» واشتهر أكثر بأغنية «صويحب»، واعترافا له بالجميل حمل الفنان سامي الاسم الفني سامي كمال بدلا من اسم والده سامي مناتي. واشتهر سامي بأغنية «بين جرفين العيون» التي كتب كلماتها الشاعر العراقي مهدي عبود السوداني. لم يكن الفنان في العراق يعيش على مردود فنه أي في الوقت الذي غنّى فيه سامي في العراق، ما لم يكن موظفا في الإذاعة والتلفزيون، ونتيجة للظروف المعيشية الصعبة التي عاشها سامي كمال وضرورة إعالة عائلته المكونة من ستة أفراد فقد اشتغل حلاقا في مدينة التحرير ببغداد. ونظرا لتأثر سامي بالأفكار اليسارية والشيوعية على وجه التحديد فقد وجد نفسه مهاجرا إلى خارج العراق بسبب الرقابة والمضايقات المفروضة عليه من القوميين والبعثيين لاحقا، ورغم توسلات أمه له بالبقاء فقد آثر الرحيل بدلا من السجن أو التصفية الجسدية، فكانت الكويت أول محطاته ثم بيروت قبل الاستقرار في عدن التي سبقه إليها الفنان جعفر حسن وشقيقته إلهام حسن (توفيت في عدن سنة ٢٠٠١) التي تزوجت من الفنان اليمني جميل غانم (١٩٤٠ - ١٩٩٠) مؤسس المعهد الموسيقى اليمني.

في عدن أسّس مع الفنانين العراقيين المقيمين هناك فرقة الطريق الجديد الشاعر زهير الدجيلي (١٩٣٧-٢٠١٦) وحميد البصري (١٩٣٥-٢٠٢٢) وزوجته شوقية العطار (مواليد ١٩٣٦)، وغنّى فيها فؤاد سالم (اسمه الحقيقي فالح حسن جاسم ١٩٤٥-٢٠١٣) والفنانة إلهام حسن.

لم تطُل إقامة سامي في اليمن بعد أن التحقت به عائلته، فغادر عدن إلى دمشق وهناك أسّس مع رفاقه العراقيين فرقة (بابل) الموسيقية عام ١٩٨٣، ثم أسّس مع الشبيبة الفلسطينية فرقة (بيسان) للأغاني الثورية والفلكلورية وكان مديرها قبل أن يُسلمها للشاب الفلسطيني محمد ديب أبو الرز (١٩٦٧-٢٠١٨) الذي توفي تحت التعذيب في السجون السورية. تعرّض سامي كمال لجلطة في السويد عانها منها حتى وفاته، تاركا خلفه إرثا موسيقيا ومواقف إنسانية لا تُنسى. آخر ما لحّنه أغنية «دقيت بابك يا وطن» التي كتب كلماتها الشاعر كريم العراقي (١٩٥٥-٢٠٢٣) .

« دكيت بابك يا وطن باب الوطن مقفول
دكيت رقمك يا وطن رقم الوطن مشغول»

عن صحيفة عمان

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"
عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون